محاججة الإمام علي بن الحسين(ع)
(قراءة في توظيف النص القرآني)

أ.م.د. عدنان كاظم مهدي شعبان
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

أ.م.د. صادق فوزي النجادي
كلية الزراعة/ جامعة الكوفة

الخلاصة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين، محمد المختار وعلى أهل بيته الأطهار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنزل فيهم آيات من الذكر الحكيم.

فالبحث يهدف إلى استقصاء الآيات القرآنية التي عرضها الإمام علي بن الحسين(عليه السلام) في محاورته مع الشامي في رزية عاشوراء وكيف وجه الامام هذا الإنسان الشامي الضال عن طريق الصواب إلى الهداية على الرغم مما قامت به الدعائية الأموية المضلة في البلاد الإسلامية من كون هؤلاء أعداء للخليفة ولولي المسلمين ولا دين لهم.

فوقفنا على صفات الإمام(عليه السلام) وكيف ينبري إلى محاججة الخصم الضال وكيفية إقناعه بأن ما يذهب إليه غير صائب بحجج قرآنية لا لبس فيها ولا تضليل.

على أننا لا نريد من ذلك أن نخوض في سيرة الامام (عليه السلام) ولا أن نقف على عبادته وعلمه وصبره وما تحلى فيه من الصفات التي أهلته ليكون فريد عصره فلا نبالغ حين نقول ليس في تأريخ هذا الشرق الذي هو مهد الحضارات والنبوات من يدنو ويشابه الامام زين العابدين(عليه السلام) اللهم إلا اباؤه الذين اناروا الكون بعلمهم ونور التوحيد.

لقد توافرت في الامام(عليه السلام) صفات ومؤهلات عدة جعلته يقف في الصف الأول وهو يقابل أعداه وهم يشتمونه ويقذفونه بكل أنواع السباب والشتم فلا يجيبهم إلا براً وإحساناً؛ فجاء البحث بمقدمة عرضنا فيها لسيرة الإمام علي بن الحسين(عليه السلام) بصورة يسيرة ليكون مدخلاً مناسباً للمبحث الأول التي وسم بصفات الامام ومؤهلاته القرآنية من قبيل صبره وحلمه وموعظته ..الخ. ثم جاء المبحث الثاني لتحليل الآيات القرآنية التي استدل بها الامام في حواره مع الشامي . ومن النتائج التي خرج بها البحث أن الإمام عليه السلام عندما استعمل هذه الآيات المباركات في حواره كان ينطلق من عقيدة سامية فقط قابل السباب والشتم بصفات رفيعة وخلق عظيم واستدل بالآيات

القرآنية على أفضلية قرابة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) لذوي القربى على عامة المسلمين ليصل إلى نتيجة مفادها أن أهل البيت الذين أوجب على الله على المسلمين مودتهم في كتابه .

المقدمة:

الإمام علي بن الحسين(عليه السلام) أسمى شخصية عرفها الدهر، والمثل الأعلى لسمو الأخلاق ومحاسن الصفات، فلا أبالغ أن قلت: ليس في تأريخ هذا الشرق الذي هو مهد النبوات من يشابه الإمام السجاد(عليه السلام) في ورعه وتقواه، وشدة إنابته إلى الله، اللهم إلا آباؤه الذين أناروا الكون بنور التوحيد.

فقد روى الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري(رضوان الله عليه) قال:(كنت جالساً عند رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) والحسين في حجره وهو يداعبه، فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): يا جابر، يولد له مولود اسمه علي، إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: ليقم سيد العابدين، فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فإن أدركته – يا جابر– فأقرئه مني السلام[1]. لقد توافرت للإمام علي بن الحسين(عليه السلام) جميع المكونات التربوية العظيمة التي لم يظفر بها أحد سواه، وقد عملت على تكوينه، وبناء شخصيته بصورة متميزة جعلته في الرعيل الأول من أئمة المسلمين، الذين منحهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ثقته، وجعلهم قادة لأمته، واماء على أداء رسالته. فقد اتفق المسلمون على تعظيم الإمام زين العابدين(عليه السلام) واجمعوا على الاعتراف له بالفضل، وأنه نسخة فريدة في هذه الدنيا لا يدانيه أحد في فضائله وعلومه وتقواه، وكان من مظاهر تبجيلهم له، أنهم كانوا يتبركون بتقبيل يده ووضعها على عيونهم[2].

فقد نشأ الإمام (عليه السلام) في بيت النبوة والإمامة، ذلك البيت الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه، فكانت الرحلة الأولى من حياته في كنف جده أمير المؤمنين(عليه السلام) يفيض عليه أشعة من روحه التي طبق شذاها العالم بأسره، ثم انتقلت مسيرة حياته مع عمه الحسن(عليه السلام) سيد شباب أهل الجنة، وريحانة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وسبطه الأول، فكان يغدق على علي بن الحسين(ع) عطفاً ومحبةً وحناناً، ويغرس في نفسه الفياضة المثل الرفيعة؛ وظل ملازماً بجواره حتى أشرف على فترة الشباب فانطبقت في سريرته مكونات عمه(عليه السلام) بطل الفكر والإصلاح في التأريخ. ثم ان هذه المدة لم يغب عنها والده الحسين(عليه السلام) سيد الشهداء فكان يرى فيه امتداداً ذاتياً ومشرقاً لروحانية النبوة ومثل الإمامة، فانبرى يعلمه دخائل ذاته وسيرته العطرة فأشتد عضه واستوى فرعه فكان يحمل في سريرته روح جده أمير المؤمنين(عليه السلام) وفكر عمه الاصلاحي وشجاعة والده أبو الاحرار.

ولنلقي نظرة على هذا التكوين الاسمى فبعد أن كبر الإمام علي بن الحسين(عليه السلام) علم بموت أمه، وأدرك أن ما أسدته إليه هذه المربية الصالحة من ألوان البر والإحسان، إنما كان خدمة له وتقرباً إلى الله، فقابل الإمام (عليه السلام) ذلك الصنيع بالمعروف وبكل ما تمكن من قوة وإحسان فقد بلغ من جميل بره بها أنه يمتنع أن يأكل معها فعاب عليه الناس ذلك وسئل لماذا لا تؤاكل أمك ؟

فأجابهم بجواب رائع لم تشهد الدنيا مثيله قائلاً: أخشى أن تسبق يدي إلى ما سبقت عينها إليها فأكون قد عققتها[٣]؛ لله درك يا أبا محمد.

المبحث الأول: صفاته ومؤهلاته القرآنية.

لا بد هنا من التعرض لصفات الإمام علي بن الحسين(عليه السلام) فمن غير المقبول أن تكون هذه الشخصية المثلى التي عايشت القرآن وجرى فيها مجرى الدم في الشرايين إلا يكون مؤهلا لذلك، فلم يخلق الله فضيلة أو خلقاً يتميز بها الإنسان إلا وقد وجدت في علي بن الحسين(عليه السلام) ولم نسمع من يجاره في سمو أدبه ومكارم اخلاقه أحد ما خلا أهل بيته(عليهم السلام).

ولا نستطيع أن نقف في هذا البحث المتواضع على كل صفاته إذ لاحتجنا إلى مجلدات عديدة لكننا اكتفينا ببعض الصفات وبصورة موجزة التي تجعل من هذا الرجل العظيم يقابل الاعداء وهم يشتمونه ويقذفوه بكل أنواع السباب والشتم فلا يجيبهم إلا براً وإحساناً.

ومن هذه الصفات:

أ- الصبر: وهو من أهم العناصر التي تواجدت في نفسية الإمام (عليه السلام) فقد ألمت به المحن والبلوى واحدة تلو الاخرى ومرت به الخطوب والمصائب حتى كادت لا تفارقه فما كان إلا صابراً مؤكلاً أمره إلى بارئه حتى أثر عنه في مدح الصبر أنه رأس طاعة الله[٤]، وكان يرى الصبر من الغنائم والجزع من الضعف[٥]. والصبر هو احتمال المكاره من غير جزع، أو هو قسر النفس على مقتضيات الشرع والعقل أوامراً ونواهياً؛ والصبر دليل رجاحة العقل وعظمة البطولة والجلد، كما هو معراج طاعة الله تعالى ورضوانه[٦].

ولنضرب مثالاً واحداً على صبره من أمثلة كثيرة لا عد لها ولا حصر فقد سمع ناعية في داره وكان عنده جماعة فنهض ليرى ماذا حدث، فأخبر أنه قد توفي أحد أبنائه، فرجع إلى مجلسه فأخبر أصحابه بالأمر فعجبوا من صبره، فقال لهم: (إنَّا أهل بيت نطيع الله فيما نحب، ونحمده فيما نكره)[٧]. ولعل مصيبة كربلاء وما لاقته أسرته الكريمة من مصائب القتل والسبي والأسر لخير دليل على صبره وإيمانه بالله تعالى في كل أموره.

ب- الحلم: وهو من صفات الانبياء والمرسلين ومن أعظم ما يميز الإنسان من غيره، لأنه ينم عن سيطرة الإنسان على شهواته ودوافعه النفسية، وعدم خضوعه لأية نزعة من نزعات الانتقام والغضب ولعل القصة المشهورة في كتب التأريخ والسير من أن وغداً لئيماً استقبله بالسب والشتم بلا أي سبب فما كان من الإمام إلا مقابلته باللطف واللين والبر قائلاً له: يا فتى، إنّ بين أيدينا عقبة كؤوداً، فإن جزت منها فلا ابالي بما تقول، وإن اتحير فيها فأنا شر مما تقول[٨]. فالإمام علي بن الحسين(عليه السلام) حائر بأهوال يوم القيامة التي لا ينجو منها إلا المتقي لله.

وقصة تلك الجارية التي كانت تسكب الماء على يديه فسقط الإبريق من يدها على وجهه الشريف فشجه خير دليل على حلمه إذ بادرته بقولها: إن الله عز وجل يقول (والكاظمين الغيظ)، فقال كظمت غيظي، واكملت الآية(والعافين عن الناس) فقال عفا الله عنك، واكملت (والله يحب المحسنين)،(ال عمران: ١٣٤) فقال اذهبي فأنت حرة[٩]. فهذه الجارية تعرف حلم الإمام ونبله فلم ترغب بالاعتذار فحسب؛ بل طلبت المزيد من ذلك فما كان من الإمام إلا الاستجابة لطلبها بلطف ورفق ولو طلبت أكثر من الذي طلبته لنالت مرادها.

بل إن الإمام قد خرج يوماً من المسجد فلاقاه رجل فسبه فاراد شيعته الانتقام للإمام وضرب الرجل فمنعهم الإمام (عليه السلام) واقبل عليه قائلا: ما ستره الله عنك أكثر، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فارتبك الرجل وخجل وود أن الأرض قد ساخت به، والقى الإمام عليه ثوباً أسوداً كانت له وأمر له بألف درهم[١٠]. وبهذا يكون الإمام قد انتزع وقلع من نفس الرجل الافكار الخاطئة التي كانت تحفظ إليهم وتجول في خاطره واعاده إلى طريق الصواب فما شوهد هذا الرجل بعد إلا وقد القى على الإمام تحية مباركة بقوله : إنك من أولاد الانبياء.

وفي لجوء بيت مروان إلى الإمام (عليه السلام) بعد سقوط دولتهم وانتصار دولة بني العباس شاهد على حلم الإمام وعظمته فقد فعل هذا البيت بهم ما فعل من جرائم وحشية فقابلهم الإمام برحابة صدر ودفع عنهم الكرب والقتل.

جـ- الابتعاد عن الأنانية: وكانت من صفات الإمام (عليه السلام) المتجذرة فيه، ولم يكن لها أي سلطان عليه، فهو لا يعرف بنفسه حتى يحترمه العباد لكونه حفيد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بل إن اخلاقه تدل عليه فإذا ما مرّ بطريق ورأى فيه ما يؤذي السائرين فيه من حجر أو مدر نزل عن دابته، ونحاه بيده عن الطريق[١١]. فضلاً عن أنه إذا أراد السفر سافر مع قوم لا يعرفونه ليقوم بنفسه برعايتهم وخدماتهم، ولا يخدمه أحد منهم، فقد سافر مرة مع قوم لا يعرفونه، فنظر إليه رجل فعرفه، فصاح بالقوم: ويلكم أتعرفون هذا ؟ قالوا: لا ندري. قال: هذا علي بن الحسين وأسرع القوم نحو الإمام، وجعلوا يقبلون يديه ورجليه والإمام لا يقبل ذلك فقالوا له: أتريد أن تصلينا نار جهنم ؟ ما

الذي حملك على هذا ؟ فقال لهم: كنت قد سافرت مع قوم، يعرفونني فأعطوني برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما لا استحق، وإني أخاف أن تعطوني مثل ذلك، فصار كتمان أمري أحب الي[١٢].

د- عزة النفس واباءها: وهي من الصفات التي تواجدت في شخصية الإمام علي بن الحسين(ع) وقد قال في ذلك (من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا)[١٣]، وقوله أيضاً (ما أحب أن لي بذل نفسي حمراً النعم)[١٤]، ويذكر المؤرخون (إن أحد أعمامه أخذ منه بعض حقوقه بغير حق، وكان (عليه السلام) بمكة، والوليد الذي كان ملكاً قد حضر موسم الحج، فقيل له: لو سألت الوليد أن يرد عليك حقك ؟ فقال لهم: أفي حرم الله عز وجل أسال غير الله عز وجل، إني آنف أن أسال الدنيا من خالقها. فكيف أسالها مخلوقاً مثلي)[١٥]، ومن عزته وإبائه أنه ما أكل بقرابته من رسول الله (ص) درهماً قط[١٦].

هـ- السخاء: قد اجمع المؤرخون على أنه كان من أسخى الناس، وأنداهم كفاً، وأبرهم بالفقراء والضعفاء فقد نقل النووي أن الامام علي بن الحسين(عليه السلام) كان يعول بمائة بيت بالمدينة سراً[١٧]؛ وذكر اليعقوبي في تأريخه أن من كرم الإمام علي بن الحسين وسخائه أنه كان يطعم الناس إطعاماً عاماً في كل يوم في يثرب وذلك في وقت الظهر في داره[١٨]، وهذا إنما يدل على طهارة نفس الامام (عليه السلام) من الشح وعلى شكره لله على عطائه المستمر عليه.

و- الاحسان والتكرم على العباد: يقول أبو زهرة إن الامام علي بن الحسين ما علم أن على أحد ديناً وله به مودة إلا أدى عنه دينه[١٩]، بل إن الإمام كان يبادر بنفسه إلى قضاء حاجات الناس من دون أن يطلب منه ذلك خوفاً من أن يسبقه أحد بذلك؛ بل بلغ من عطفه وإحسانه إلى العباد ما رواه الزهري إذ قال: (كنت عند علي بن الحسين (عليه السلام) فجاء رجل من أصحابه، فقال له: إني أصبحت وعلي أربعمائة دينار دين، ولا أتمكن من قضائها، وعندي عيال، ولم يكن عند الإمام في ذلك الوقت شيء من المال يسعفه به فبكى (عليه السلام) وقال: أية محنة أو مصيبة أعظم على حر مؤمن من أن يرى بأخيه المؤمن من خلة فلا يمكنه سدها ويشاهده على فاقة فلا يطيق رفعها)[٢٠].

ز- الشجاعة: كان الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) أربط الخلق جأشا وليس هذا بغريب عليه فهو آبن الحسين بن علي اشجع من أن يقاس به أحد فليس في التأريخ من يضارع أبوه وجده في البطولة والشجاعة والعزم والصلابة والوقوف على الحق فقد روى المؤرخون أن علي بن الحسين لما دخل على عبيد الله بن مرجانة أسيراً فتشفى عبيدالله به وبأهله فما كان من الإمام (عليه السلام) إلا رده ولم يحفل بجلاوزته ولا بجبروته بل إن الطاغية أمر بقتله على مرأى الناس فلم يخف الإمام (عليه السلام) ولم يطرف له رمش عين وإنما قال بشجاعة حيدرية وبكل هدوء (القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة) مما جعل ابن مرجانة يرتعب ويخاف من الامام. وتعدى الأمر ذلك بأن واجه الإمام يزيد بن

معاوية بكل جرأة وحزم وشجاعة وسد عليه كل منافذ الدفاع عن جريمته التي اقترفتها يده وعظيم الجرم الذي فعله.

حـــ – الزهد: ونعني به عدم الاعتناء بأي مبهج من مباهج الدنيا الفانية والاعراض الكامل عنها فالدنيا لم تخدع الإمام ولم تفتنه فهو قد عرف حقيقتها وأصلها وتعلم من جده أمير المؤمنين أن يطلقها ثلاث لا رجعة له فيها؛ بل توصل إلى نتيجة مفادها إن الإنسان مهما تنعم في الطيبات وعاش فيها فإنه راحل عنها ولا يبقى له منها إلا العمل الطيب والخير. وقد شاع في زمانه أنه من أزهد الزاهدين فقد سئل الزهري عن أزهد الناس فقال: علي بن الحسين[٢١]، ورب سائل يسأل هل زهد الإمام استكانة للفقر واستسلام للعجز ؟ وللإجابة عن ذلك التساؤل نقول : لا ؛ إن زهد الإمام لم يكن استكانة للفقر ولا استسلاماً للعجز وإنما كان قائماً على التقوى والورع عن محارم الله والاحتياط الشديد في أمور الدين، شأنه في ذلك شأن إبائه الذين لم يحفلوا بأي شأن من شؤون الدنيا الخداعة خلا ما يتصل بالحق وتأييد الفضيلة[٢٢]، وقد رأى الإمام (عليه السلام) سائلاً يبكي، فتأثر منه وراح يقول : (لو أن الدنيا كانت في كف هذا ثم سقطت منه لما كان ينبغي له أن يبكي عليها)[٢٣]. اما إذا ما ذهبنا إلى مؤهلاته القرآنية نجده من المع المفسرين للقرآن العزيز وقد استشهد علماء التفسير بالعديد من روائع تفسيره؛ وذكر المؤرخون أنه كان صاحب مدرسة لتفسير القرآن وقد أخذ عنه ابنه الشهيد زيد في تفسيره للقرآن الشيء العديد؛ وأخذ كذلك عنه الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسيره الذي رواه عنه زياد بن المنذر؛ كيف لا يكون كذلك وهو من عاش مع القرآن الكريم فكراً وسلوكاً، وكانت له ذاكرة واعية متدبرة لمضامين كتاب الله سبحانه وتعالى والاستنتاج منه؛ وقد تميز الإمام (عليه السلام) بمثل ما تميز به آباؤه (عليهم السلام) بخاصية التفسير المتميز والرائع لأي القرآن فقد نزل الوحي في بيوتهم وهم حملة علمه؛ ولم يثبت أو يروى عن واحد منهم تناقضاً في تفسير أو توجيه لآية قرآنية واحدة؛ بل يكمل بعضهم بعضاً ويضيف الأخر على السابق. فالقرآن الكريم ما زال موضع احترام المسلمين كافة وتقديسهم، فمنه يستمدون أسس اعتقاداتهم ويستلهمون من آياته المباركة ما تصلح به أمور دينهم ودنياهم، وينهلون من فيضه قيمهم وأفكارهم، فنشأت ما بينهم وبين القرآن علاقة متينة قوية. والقرآن الكريم مائدة الله إلى البشر فهو مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، وهو حبل الله عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه، لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد فاتلوه؛ فان الله تعالى يأجركم على تلاوته؛ ولا يخفى على كل ذي لب لما للقرآن من دور مهم في المسيرة الفكرية الإسلامية والصحيحة، إذ شكل أساساً استند إليه كثير من العلماء والفقهاء والمفكرين من رجالات العالم الإسلامي والغربي، فالقرآن معجزة السماء الخالدة، والأصل في اعتماد التشريع عليه. وتمثل عملية تفسير القرآن تجربة في قراءة النص فريدة من نوعها إذ لا نعتقد أنه يوجد في العلم من

النصوص ما استقطب من الاهتمام وتعدد القراءة وتنوع الأقوال كالذي حدث في النص القرآني ولعل العلة في ذلك انه نص معجز وفيه من الخصائص الأسلوبية ما يهيئه لاختلاف الفهم وتعدد التأويل عند المتلقي؛ فالقرآن هو الدستور الذي ينظم حياة البشر وشؤونهم وكانت من أولويات المسلمين مع كتاب الله عز وجل في جميع العصور منذ اليوم الأول لنزوله على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى يومنا الحاضر الاهتمام به وتفسيره وفهمه حيث التفاسير المتعددة والبحوث المختلفة التي تناولت كتاب الله بالدراسة والبحث والتفسير الدقيق والتحقيق في آياته وسوره وغير هذا. ولما كان القرآن كتاب الله عز وجل انزله على رسوله الأمين محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور فانه لابد والحال هذه للمسلمين من أن يتفهموا معانيه ويفقهوا آياته ليستطيعوا العمل على ضوء تعاليمه ووفق مفاهيمه؛ وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المفسر الأول للنص القرآني ((وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ))،(النحل: ٤٤) مبينا خلال سنني حياته ما ينزل من الآيات وما فيها من حقيقة ومجاز، وتصريح وكناية، ومحكم ومتشابه، ومطلق ومقيد، وغير ذلك؛ وعندما رحل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى دار المأوى لجئ المسلمون بعد ذلك إلى صحابة رسول الله الذين عاشروه وسمعوا منه يسألونهم تفسير ما استغلق على أذهانهم فهمه من مفردات القرآن وألفاظه وآياته فيروي لهم الصحابة ما سمعوه من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك، والإمام أحد أولئك الذين رجع المسلمون إليهم في فهم نصوص القرآن وتفسيره فقد عاش حياته مع القرآن ونصوصه في بيت يتلى فيه أناء الليل والنهار وقد بلغ في ذلك شوطاً بعيداً وسجلت نظراته التفسيرية بالقرآن الكريم في سجل كتب المفسرين واستنار فيها أعلام الحفاظ والمجتهدين، وقدم مضامين استدلالية مهمة في تفسير آيات القرآن.

وقد اتفق المسلمون على تعظيم الإمام السجاد (عليه السلام) ولم يقتصر الأمر على أصحابه بل شمل جميع من لم يقف إلى جانبه رغم اختلاف الأهواء والميول- وأجمعوا على الاعتراف له بالفضل وأنه نسخة فريدة في هذه الدنيا لا يدانيه أحد في فضائله وعلومه وتقواه، وقد توفرت في شخصية الإمام علي بن الحسين(عليه السلام) جميع الصفات الكريمة التي تؤهله لقيادة هذه الأمة وتزعمها روحياً؛ فقد تفجرت مواهب الإمام (عليه السلام) بطاقات هائلة من العلم شملت جميع أنواع العلوم والمعارف من الحديث وعلم الكلام والتفسير والفقه واللغة وغير ذلك؛ وأجمع المؤرخون والرواة على أنه كان من أثرى رجال الفكر الإسلامي والعلم في زمنه، وأنه ممن رفع منار العلم عالياً وأظهر كنوزه للعباد.

المبحث الثاني: توظيف النص القرآني للمحاججة مع الشامي

في هذا المبحث سوف نعرض للحوار والاستدلالات بالآيات القرآنية التي استدل بها الإمام علي بن الحسين(عليه السلام) مع الشامي إذ انبرى شيخ من أهل الشام قد ضللته الدعايات الكاذبة نحو الامام (عليه السلام) وقد رفع عقيرته قائلاً: الحمد لله الذي أهلككم، وأمكن الأمير منكم؛ فعن ديلم بن عمر قال: كنت بالشام حتى اتي بسبايا آل محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) فأقيموا على باب المسجد حيث تقام السبايا، وفيهم علي بن الحسين، فاتاهم شيخ من اشياخ أهل الشام فقال: الحمد الله الذي قتلكم، واهلككم، وقطع قرون الفتنة، فلم يال عن سبهم وشتمهم، فلما انقضى كلامه. قال له علي بن الحسين(عليه السلام) : إني قد انصت لك حتى فرغت من منطقك، واظهرت ما في نفسك من العداوة والبغضاء، فانصت لي كما انصت لك. – أي بصر الإمام به فراه مخدوعاً قد خفي عليه الحق وخدعه الاعلام الاموي– فقال الامام له: يا شيخ هل قرأت القرآن ؟ قال: نعم. قال(عليه السلام): اقرأت قوله تعالى: (قل لا اسالكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)،(الشورى: ٢٣)، قال: بلى. فقال(عليه السلام): نحن أولئك فهل تجد لنا في سورة بني اسرائيل حقاً خاصة دون المسلمين. قال: لا. فقال: أما قرأت هذه الآية ؟ (وات ذا القربى حقه)،(الاسراء: ٢٦)، قال: نعم. قال(عليه السلام): فنحن أولئك الذين امر الله نبيه أن يؤتيهم حقهم. قال(عليه السلام): فهل قرأت قوله تعالى(واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى)،(الانفال: ٤١)، فقال: نعم. فقال(عليه السلام) فنحن ذو القربى، فهل قرأت قوله تعالى(انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيراً)،(الاحزاب: ٣٣)، قال الشيخ: بلى. قال(عليه السلام): نحن أهل البيت الذين خصهم الله بالتطهير. فرفع الشامي يده إلى السماء – وسرت الرعدة في أوصاله– اللهم اني اتوب اليك ثلاث مرات اللهم اني اتوب من عداوة ال محمد وابرء اليك ممن قتل أهل البيت. والقى الشيخ بنفسه على الامام وهو يقبل يديه ودموعه تجري على وجهه[٢٤].

فنجد الامام قد حاور الشيخ بأسلوب هادى بعيد عن التعصب واستدل بالقرآن لإثبات حقه ورفع الشبهة عن الرجل الذي اناب واثاب للإمام ولو تتبعنا هذه الآيات القرآنية المباركة وما فيها نجد ان سورة الشورى ورد فيها لفظ القربى والمراد بالقربى علي وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام)، وقد اختلف العلماء في معنى الآية على أقوال[٢٥]

أ– لا أسألكم على تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة أجراً إلا التودد والتحاب فيما يقرب إلى الله تعالى من العمل الصالح، عن الحسن والجبائي وأبي مسلم قالوا هو التقرب إلى الله تعالى والتودد إليه بالطاعة.

ب- إن معناه إلا أن تودوني في قرابتي منكم وتحفظوني لها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وجماعة قالوا وكل قريش كانت بينها وبين رسول الله(ص) قرابة وهذا لقريش خاصة والمعنى: أن لم تودوني لأجل النبوة فودوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم.

جـ- إن معناه إلا أن تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم عن علي بن الحسين (ع) وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب وجماعة وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع).

ولو لاحظنا الاستثناء الوارد في الآية (إلا المودة) فإنه استثناء متصل، والمعنى يكون لا أسألكم عليه أجراً إلا هذا؛ فقد رضيت به أجراً، كما أنك تسأل غيرك حاجة فيعرض المسؤول عليك براً، فتقول له اجعل بري قضاء حاجتي. وبهذا يكون المعنى: لا أسألكم عليه أجراً إلا هذا ونفعه أيضاً عائد عليكم فكأني لم أسألكم أجراً. وحتى من يدعي بأن الاستثناء منقطع وليس متصلاً فهذا مما يجب بالإسلام فلا يكون أجراً للنبوة. فالرسول قد ذكر ذلك بقوله:(إن الله جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي وأني سائلكم غدا عنهم)[٢٦]. وقد صور ذلك الإمام الشافعي بقوله[٢٧] :

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

وقد سأل سعيد بن جبير الإمام زين العابدين (ع) عن القربى في قوله تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾، فأجابه بقوله: (هي قرابتنا أهل البيت)[٢٨]. وقد روى إبراهيم بن معقل النسفي الحنفي في تفسيره عن سعيد بن جبير قال: لما نزل قول الله تعالى (قل لا أسالكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) قالوا: يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال: علي وفاطمة وابناهما[٢٩]. وروى ابن كثير في تفسيره عن أبي إسحاق السبيعي قال: سألت عمرو بن شعيب عن قوله تعالى – الآية المباركة – فقال: قربى النبي[٣٠]. وقد نقل سيد قطب في تفسير هذه الآية أن القربى هم آل محمد[٣١]. وهو المروي كذلك عن أبي جعفر الصادق (ع) وأبي عبد الله (ع) وصح عن الحسن بن علي (ع) أنه خطب في الناس فقال في خطبته أنا من أهل البيت (عليهم السلام) الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال: قل لا أسالكم عليه أجرا إلا المودة في القربى؛ وروى إسماعيل بن عبد الخالق عن أبي عبد الله (ع) أنه قال: إنها نزلت فينا أهل البيت (أصحاب الكساء)[٣٢]. وقد اختلف المفسرون في تحديد القربى بأربع تفاسير وقد أوضح الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ذلك[٣٣]:

١- المقصود من ذوي القربى هم أقرباء الرسول(ص) وهم الأئمة الأطهار(ع) وهو الأصح ما بين التفاسير كما يتضح لنا.

٢- المقصود هو إن جزاء الرسالة وأجرها هو حب أمور معينة تقربكم من الله؛ وهذا لا يتلاءم مع ظاهر الآية.

٣- المقصود حب أقرباءكم بعنوان أجر الرسالة أي صلة الرحم وهذا لا يشير إلى قرابة الرسول (ﷺ)؛ بل إلى قرابة الناس فكيف يمكن عده أجرا لرسالة النبي(ﷺ).

٤- المقصود أن أجري هو أن تحفظوا قرابتي منكم ولا تؤذوني لأني ارتبط برابطة القرابة مع أكثر قبائلكم فالرسول يرتبط بقريش نسبياً وبالقبائل الأخرى سببياً عن طريق الزواج والرضاعة وبني النجار؛ وهذا لا يتلاءم أيضا مع الأجر الذي أراده الرسول(ﷺ) فأولئك كانوا يحترمون الرسول(ﷺ) لأنه نبي مرسل ولا توجد حاجة لاحترامه بسبب قرابته؛ ثم إن الدليل على أن التفسير الأول هو الأصح هو كثرة الروايات في مصادر الفريقين والمنقولة عن رسول الله(ﷺ) حيث أوضح أن القربى هم أهل البيت(علي)[٣٤].

أما سورة الاسراء فالقربى فيها تعني قرابة الرسول وعليه فالمعنى اعطوا قرابات حقوقهم التي اوجبها الله لهم في اموالكم[٣٥]، فذوي القربى هم قربى رسول الله، وبعض الروايات تشير إلى أن الآية تتحدث عن قصة فدك التي أعطاها رسول الله بنته فاطمة الزهراء، ولكن مخاطبة الرسول(ص) في كلمة (وآت) لا تعتبر دليلاً على اختصاص هذا الحكم به، لأن جميع الأحكام الواردة في هذه المجموعة من الآيات كالنهي عن الاسراف ومداراة السائل والمسكين، والنهي عن البخل هي أحكام عامة على الرغم من أنها تخاطب الرسول(ص) وهناك نفطة ينبغي الالتفات إليها؛ وهي مجيء النهي عن التبذير والإسراف، بعد إعطاء الأمر بأداء حق الأقرباء والمساكين حتى لا يقع الإنسان تحت تأثير عاطفة القرابة أو الصداقة فيعطي لهذا المسكين أو ابن السبيل أو القريب أكثر مما يستحق أو يتحمل، فيعتبر ذلك إسرافاً وتبذيراً وهما مذمومان دائماً[٣٦]، وكلمة ذي القربى تعني الأرحام والمقربين وهناك كلام بين المفسرين حول المقصود بها، إذ هل هو المعنى العام أو الخاص؟ فالبعض من المفسرين يعتقد أن المخاطب بالآية جميع المؤمنين والمسلمين، والغرض هو الحث على أداء حقوق الأقرباء؛ والبعض الآخر يرى أن المخاطب في الآية هو الرسول(ﷺ) والغرض هو أيصال حقوق أقرباء النبي كخمس الغنائم أو غيرها مما يتعلق بها الخمس أو بصورة عامة تأدية كل الحقوق التي لهم في بيت المال لذلك نرى في روايات عديدة عند المسلمين إن رسول الله(ص) بعث إلى فاطمة (عليها السلام) بعد نزول هذه الآية ووهبها فدكاً[٣٧]؛ وعليه فالقربى هنا تدل على الارحام والمقربين للرسول(ﷺ) فالله تعالى لما فتح على نبيه فدك وما ولاها انزل هذه الآية فلم يدر رسول الله من هم فراجع جبرائيل في ذلك وراجع جبرائيل ربه فأوحى الله اليه ان ادفع فدك

لفاطمة(عليها السلام) وبذلك يتضح ان القربى قرابة الرسول (ص) لكي تصل اليهم الحقوق كخمس الغنائم وغيرها بما يتعلق بالخمس، فعن أبي سعيد الخدري قال لما نزل قوله وات ذا القربى حقه اعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة فدكاً[٣٨].

أما سورة الانفال ففيها الغنيمة الفوز بالشيء من غير مشقة وهي ما اخذ من اموال اهل الحرب من الكفار بقتال وهي هبة من الله تعالى للمسلمين والفيء ما اخذ بغير قتال وقال قوم الغنيمة والفيء واحد[٣٩]، واختلف في ذوي القربى فقيل هم بنو هاشم خاصة من ولد عبد المطلب لأن هاشماً لم يعقب الا منه وقيل هم بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف[٤٠]، والذي يعيينا هنا في هذه الآية لفظة ذي القربى اذ ليس المراد هنا الاقرباء كلهم ولا اقرباء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جميعاً بل هم فئة مخصوصة معروفة عند عامة المسلمين وهم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة فقد ذكر امام الحق وساقي الكوثر ان هذه الآية لنا خاصة ولم يجعل لنا في الصدقة كرامة من الله لنبيه[٤١]، اذا ليس المراد من الآية الاقرباء كلهم ولا اقرباء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) جميعاً، وبناءً على من يرى أن سهماً من الخمس يتعلق بكل اقرباء الرسول فانه يواجه بالسؤال الاتي وهو ما هذا الامتياز الذي اعطاه الاسلام لأقرباء النبي وقومه مع العلم أن الاسلام بعيد جداً عن القبلية والعرقية ؟ لكن إذا كان الامر يتعلق فقط باهل البيت (ذوي القربى) يتضح السبب ويختفي اللبس والاشكال فهم خلفاء الله في الارض وقادة الدولة الاسلامية وهم ينفقونها في مرضاة الله وفي تصريف شؤون المسلمين بكافة اصنافهم من دون تمييز او تفريق بين احد، ويعضد ما ذهبنا اليه من أن المنظور النحوي في الآية يدل على أن (ال) في قوله تعالى (ذو القربى) عوض عن المضاف اليه المحذوف والمراد هنا هو الرسول(ص) المذكور قبله(للرسول) اي واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي قربى الرسول وذلك اكرام من الله لرسوله اذ جعل لأهل قرابته وبيته حقاً في مال الله لان الله حرم عليهم اخذ الصدقات والزكاة.

أما قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيـرًا﴾ فهذه الآية الكريمة من الآيات البينات الدالة على عصمة أهل بيته صلوات الله عليهم من الذنوب وطهارتهم من الآثام؛ ولا يخفى على أحد قصة نزول هذه الآية وعلاقتها بقصة حديث الكساء، فالترمذي يروي عن عمر بن أبي سلمة(ربيب النبي) قوله: نزلت هذه الآية على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في بيت أم سلمة، فدعا النبي فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنهم وطهرهم تطهيـرا[٤٢]. وقد أجمع عامة أهل التفسير والحديث والتاريخ على أن المقصود بـ(أهل البيت) هم الخمسة الطيبون(محمد وعلي

وفاطمة والحسن والحسين)،(عليهم السلام) وروى الحاكم بسنده عن أم سلمة أنها قالت:(في بيتي نزلت هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيــرًا﴾ قالت : فأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى علي وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام) فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي .قالت أم سلمة: يا رسول الله ما أنا من أهل البيت ؟ قال: إنك إلى خير. وهؤلاء أهل بيتي ، اللهم أهل بيتي أحق)[٤٣]. قال ابن عباس: الرجس عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا والبيت التعريف فيه للعهد والمراد به بيت النبوة والرسالة، والعرب تسمي ما يلتجأ إليه بيتاً ولهذا سموا الأنساب بيوتاً وقالوا بيوتات العرب يريدون النسب. قال الفرزدق[٤٤]:

بيت زرارة محتب بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

لا يحتبـــى بفناء بيتك مثلهم أبدا إذا عد الفعال الأكمل

على أن العلماء قد ذكروا أقوالاً أخرى في الآية لا تعدو مجرد تفسير للآية مجانبة للصواب، فقد قيل البيت هو بيت الله الحرام، وأهله هم المتقون على الإطلاق لقوله: إن أولياءه إلا المتقون، وقيل البيت مسجد رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأهله من مكنّه رسول الله(صلى الله عليه وآله) فيه ولم يخرجه ولم يسد بابه. وقد اتفقت الأمة بأجمعها على أن المراد بأهل البيت في الآية أهل بيت نبينا(صلى الله عليه وآله) وهم (علي وفاطمة والحسن والحسين)،(عليهم السلام)[٤٥]. والدليل في ذلك الأداة (إنما)التي تدل على الحصر فهذه منقبة خاصة برسول الله(صلى الله عليه وآله) وآل بيته. وكذلك جملة (يريد) إشارة إلى إرادة الله التكوينية، والإرادة التشريعية التي تقتضي لزوم التطهير من كل رجس وسوء، واستحالة تخلف الإرادة بالنسبة له تعالى من البديهيات لمن آمن بالله(عز وجل). فعصمة أهل البيت ووحدانية المنهج لديهم مثلها الله سبحانه وتعالى بإذهاب الرجس والمعاصي عنهم بلفظ (إنما) وهي من أقوى أدوات الحصر وبدخول اللام في الكلام الخبري، وبتكرار لفظ الطهارة وذلك يدل على الحصر والاختصاص أيضا وهذا دليل آخر على تعلق الآية بأهل البيت حصرا.

وأما ما أثيــر من أنها نزلت في نساء النبي(صلى الله عليه وآله) خاصة، من قول عكرمة ومقاتل[٤٦]، والحديث حول هذه الشبهة يدعونا إلى تقييم آراء كل من عكرمة ومقاتل، ومعرفة البواعث النفسية التي جعلت عكرمة يصر على هذا الموقف الخاطئ. والظاهر أن لذلك علاقة بعقيدته التي تبناها إلا وهي عقيدة الخوارج. ولا يخفى ما للخوارج من موقف مضاد للإمام علي(عليه السلام) ثم إن عكرمة عرف بالكذب على ابن عباس فعن ابن المسيب أنه قال لمولى له اسمه برد: لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس، وعن ابن عمر أنه قال ذلك أيضا لمولاه نافع[٤٧]. وليس لنساء النبي(صلى الله عليه وآله) نصيب في هذه الآية وللتدليل على ذلك نذكر ما يلي:

أ- خروجهن موضوعا عن الأهل، فإنه موضوع لعشيرة الرجل وذوي قرباه ولا يشمل الزوجة.

ب- إنا لو أسلمنا أن الأهل يطلق على الزوج فلا بد من تخصيصه؛ وذلك للأخبار المتواترة في هذه المسالة وهي توجب تقييد الإطلاق من دون شك[٤٨]. وقد زعم عكرمة أن هذه الآية نزلت في نساء النبي(ﷺ) وإنه كان ينادي بذلك في السوق[٤٩]. بل بلغ من إصراره وعناده أنه كان يقول:(من شاء باهلته إنها نزلت في أزواج النبي)[٥٠]. وعكرمة لا يعول على روايته ولا يوثق به فعن عثمان بن مرة أنه قال للقاسم:(إن عكرمة حدثنا عن ابن عباس كذا فقال القاسم يا بن أخي إن عكرمة كذاب يحدث غدوة حديثا يخالفه عشيا)[٥١]. فهذا يدل على كذبه بل الأشد من ذلك أنه كان منبوذا عند المسلمين فقد جفوه وتجنبوه وبلغت من كراهيتهم له أنه لما توفي لم يصلّوا عليه ولم يشهدوا تشييع جنازته[٥٢]. لما عُرِفَ عنه من فسوقه وتهاونه في الصلاة على أن أهم شيء في حديثه أنه من الأخبار الآحاد وهذا لا يضاهي الأخبار الصحيحة المتواترة من الطرفين. وأما مقاتل فحسابه من حيث العداء لأمير المؤمنين حساب عكرمة، ونسبة الكذب إليه لا تقل عن نسبتها إلى زميله عكرمة ، حتى عده النسائي في جملة الكذابين المعروفين بوضع الحديث[٥٣]. وقد لاحظ العلامة محمد تقي الحكيم أن لفظة الأهل لم تكن تطلق عند العرب على الأزواج إلاّ بضرب من التجوز، ففي صحيح مسلم : أن زيد بن أرقم سأل عن المراد بأهل البيت هل هم النساء ؟ قال:(لا وايم الله ، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها ، فترجع إلى أبيها وقومها)[٥٤]، على أن نساء النبي لم تدّعِ واحدة منهن لنفسها أنها نزلت فيهن، بل صرحت غير واحدة منهن بنزولها في النبي(ﷺ) وعلي وفاطمة والحسن والحسين[٥٥]. ثم إن رسول الله (ﷺ)خشي أن يستغل بعضهم قربه منه فيزعم شمول الآية له، فحاول قطع السبيل عليهم بالتأكيد على تطبيقها على هؤلاء بالخصوص، وتكرار هذا التطبيق حتى تألفه الأسماع، وتطمئن إليه القلوب؛ يقول أبو الحمراء:(حفظت من رسول الله(ﷺ) ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرة يخرج إلى الصلاة الغداة إلا أتى إلى باب علي فوضع يده على جنبتـــي الباب، ثم قال: الصلاة الصلاة ،إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيـــرا))[٥٦]. وأورد الفيـــروز أبادي عن أبي داود الطيالسي في مسنده بإسناده عن أنس عن النبي(ﷺ):(إنه كان يمرّ على باب فاطمة شهراً قبل صلاة الصبح فيقول : الصلاة يا أهل البيت(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت))[٥٧]. وقال العلامة المراغي في تفسيره:(وعن

ابن عباس قال: شهدنا رسول الله(ﷺ) تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب عند وقت كل صلاة فيقول: السلام عليكم ورحمة الله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهكم تطهيـــرا) الصلاة يرحمكم الله كل يوم خمس مرات))[٥٨]. والدليل القاطع في هذه المسألة تذكير الضمير في آية التطهير وتأنيث بقية الضمائر في الآيات السابقة عليها واللاحقة لها يقرب ما قلناه من عدم شمول نساء النبي (ﷺ) بهذه الآية إذ إن وحدة السياق تقتضي اتحادا في نوع الضمائر ، ومقتضى التسلسل الطبيعي أن تكون الآية هكذا ، أنما يريد الله ليذهب عنكن الرجس أهل البيت لا عنكم.

والحق الذي يتراءى لنا من مجموع ما رويناه من نزول الآية وحرص النبي(ﷺ) على عدم مشاركة الغير لهم فيها واتخاذه الاحتياطات بإدخالهم تحت الكساء، ليقطع بها الطريق على كل مدّعٍ ومتقوّل، ثم تأكيده هذا المعنى خلال تسعة أشهر في كل يوم خمس مرات يقف فيها على باب علي وفاطمة، كل ذلك مما يوجب القطع بأن للآية شأنا يتجاوز المناحي العاطفية، وهو مما يتنزه عنه مقام النبوة لأمر يتصل بصميم التشريع من إثبات العصمة لهم، وما يلازم ذلك من لزوم الرجوع إليهم والتأثر والتأسي بهم في أخذ الأحكام[٥٩]، وبذلك يكون عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا هو مصروف عن أهل البيت.

النتائج:

يمكن القول باطمئنان أن الامام علي بن الحسين(عليه السلام) عندما استعمل هذه الآيات المباركات في حواره مع الشيخ الشامي كان ينطلق من عقيدة سامية فقد قابل الشتم والسباب بصفات رفيعة وخلق عظيم ثم استدل بما يؤمن به الشامي من نصوص غير قابلة للتحريف او المحاججة فالآيات (الشورى، والاسراء، الانفال) وردت فيها لفظة(ذو القربى) وهذا استدلال على افضلية اقرباء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) على عامة المسلمين في الحقوق والواجبات فكأنما أراد الإمام تهيئة الرجل عقلياً وباطنياً بما يعرفه من مضمون وخزين معرفي لديه فابتدأ بذكر قرابة الرسول وكيف فضلهم الله على جميع الناس فهم ليسوا كما يدعي يزيد بن معاوية خوارج أو ديلم أو غيرهم من الاصناف بل هم مسلمون متأصلون في الدين الاسلامي ومن قرابة النبس محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي بعث بدين الاسلام من قبل الله عز وجل وهذه الحقيقة افزعت الرجل الشامي وصدمته بحيث لم يفقه معها جواباً بل إن الامام بعد أن استقرت نفس الشامي وبانت عليه علامات الندم والخضوع جاءه بدليل أقوى مما سبق فهؤلاء السبايا ليسوا فقط من أقارب الرسول بل هم أهل بيته الذين أوجب الله على

المسلمين مودتهم في كتابه وحفظهم من الرجس وجعلهم أئمة هداة للناس فكأنما استعمل الامام (عليه السلام) العموم في الآيات الاولى ثم الخصوص في الآية الاخيرة. وقد ظهرت لنا بعض النتائج:

١- المحاججة والحوار طبيعة وجبلة في البشر للدفاع عن النفس في حال تعرضه للنقاش أو تبادل الأفكار والآراء.

٢-المحاور الناجح هو الذي لا يعتمد في محاججته وحواره على السخرية والتشهير وإنما يقصد هدم فكرة باطلة أو مبدأ منحرف عن جادة الإسلام؛ وهذا ظاهر بصورة جليلة في حوار الامام علي بن الحسين(عليه السلام) فهو مناظر ناجح لدرجة تجعل أعداءه يؤمنون به ويتراجعون عن عنادهم.

٣- إنَّ استدلال الإمام السجاد(عليه السلام) بالآيات القرآنية إنما هو من باب التذكير والإقرار والاعتراف بمعجزة جده خاتم الأنبياء(صلى الله عليه وآله وسلم)، وتسليط الضوء على المنهج القويم التي تحيى به الأمم؛ وانه خليفة الله الرسمي في خلقه وليس الطغاة الذين حكموا رقاب الناس بالقوة والحديد فهم لا يفقهون من دينهم شيئاً إن كانوا مؤمنين .

٤- إن الله سبحانه وتعالى يستخلف إنساناً يتمتع بالتربية الكاملة ويتحلى بدرجة عالية وكبيرة من التربية ويكون مثالا نابضا يجسد مقولات التربية الإلهية في حياة البشر، ليضطلع بمهمة تربية الناس ثم إيصالهم إلى الغاية التي خلقوا من أجلها، وقد أثبت الدراسات النفسية أن التأثير الحقيقي منحصر في القدوة الموجودة أمام أعين الناس وليس في الكلمات والمواعظ أو النصائح فقط .

٥- إنَّ من واضحات القرآن الكريم أنه نزل تبياناً لكل شيء وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون، وأهل البيت عليهم السلام لا يفارقون القرآن بمقتضى حديث الثقلين المتواتر الذي تعارف عليه العامّة والخاصّة فيلزم عدم مفارقتهم للقرآن وكونهم معصومين لا محالة.

الهوامش :

١ - ينظر: تأريخ دمشق ٥٤/ ٢٧٦، وبحار الانوار ٤٦/ ٣.

٢ - ينظر: العقد الفريد ٢/ ٢٥١.

٣ - ينظر: الكامل ١/ ٣٠٢، وعيون الاخبار ٣/ ٩٧.

٤ - الإمام زين العابدين / المقرم ١٩.

٥ - الدر النظيم ١٧٣.

٦ - ينظر: مجالس ثعلب ٧٤ ، ودراسات اخلاقية في ضوء الكتاب والسنة ٢٦٥.

٧ - حلية الأولياء ٣/ ١٣٨.

٨ – بحار الانوار ٤٦/ ٩٦.
٩ – ينظر: تأريخ دمشق ٤١/ ٣٨٧، ونهاية الأرب ٢١/ ٣٢٦.
١٠ – ينظر: البداية والنهاية ٩/ ١٠٥.
١١ – الإمام زين العابدين ٧٠.
١٢ – ينظر: عيون اخبار الرضا ٢/ ١٤٥، والكامل ٢/ ٤٨٢.
١٣ – بحار الانوار ٧٨/ ١٣٥، وينظر: تحف العقول ٢٧٨.
١٤ – الخصال ٢٤.
١٥ – بحار الانوار ٤٦/ ٦٤.
١٦ – ينظر: مجالس ثعلب ٢/ ٤٦٢.
١٧ – تهذيب الاسماء واللغات ٣٤٣.
١٨ – تأريخ اليعقوبي ٣/ ٦.
١٩ – ينظر: مسند الإمام زيد ٢٤.
٢٠ – امالي الصدوق ٤٥٣، وينظر: حياة الإمام زين العابدين ١/ ٩٤.
٢١ – بحار الانوار ٤٦/ ٦٢.
٢٢ – ينظر: حياة الإمام زين العابدين ١/ ١٠٣.
٢٣ – الفصول المهمة ١٩٢.
٢٤ – ينظر: اللهوف ١٠٢، ١٠٣، والصواعق المحرقة ١٧٠، والاحتجاج ٢/ ٣٣– ٣٤، وحياة الامام زين العابدين ١/ ١٩٣– ١٩٤.
٢٥ – ينظر: مجمع البيان المجلد ٤/ ١٤٢–١٤٣.
٢٦ – سنن الترمذي باب المناقب الحديث ٢٧٩٤/ ٨٥٨.
٢٧ – ديوان الامام الشافعي ٩٣.
٢٨ – احكام القرآن/ الجصاص ٣/ ٤٧٥.
٢٩ – تفسير النسفي ٤/ ٩٤.
٣٠ – ينظر: تفسير القرآن العظيم الجزء ٣.
٣١ – في ظلال القرآن ٢٥.
٣٢ – ينظر: مجمع البيان المجلد ٥/ ٢٩.
٣٣ – ينظر: الامثل ١٥/ ٣٣٠–٣٣١.
٣٤ – ينظر: احقاق الحق المجلد ٣/٢، ومستدرك الصحيحين المجلد ٣/ ١٧٢، وتفسير القرطبي ٨/ ٥٨٤٣، والصواعق المحرقة ١٠١، وتفسير الطبري ٢٥/ ١٦–١٧.
٣٥ – مجمع البيان المجلد ٣/ ٤١١.
٣٦ – ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٨/ ٣٠٢.
٣٧ – ينظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٢٨٨، وكنز العمال ٢/ ١٥٨، ومجمع البيان المجلد ٣/ ٤١١، والامثل ٨/ ٣٠٦.

٣٨ – مجمع البيان المجلد ٣/ ٤١١.
٣٩ – المصدر نفسه المجلد ٢/ ٥٤٣.
٤٠ – المصدر نفسه.
٤١ – ينظر: وسائل الشيعة المجلد ٦، باب الخمس.
٤٢ – ينظر: سنن الترمذي/ باب المناقب/ الحديث ٢٧٩٣/ ٨٥٨.
٤٣ – مستدرك الحاكم ٢/ ٤١٦، وينظر: اسد الغابة ٥/ ٥٢١.
٤٤ – ديوان الفرزدق ٤٨٩.
٤٥ – ينظر: مجمع البيان المجلد ٤/ ٣٥٦.
٤٦ – ينظر: اسباب النزول ٢٦٨، والدر المنثور ١٩٨/٥.
٤٧ – وفيات الاعيان ١/ ٣٢٠.
٤٨ – ينظر: حياة الامام الحسن ١/ ٧٩-٨٠.
٤٩ – ينظر: اسباب النزول ٢٦٨.
٥٠ –الدر المنثور ٥/ ١٩٨.
٥١ –الطبقات الكبرى ٥/ ٢١٦.
٥٢ –ينظر: تهذيب التهذيب ٧/ ٢٤٠.
٥٣ – ينظر: دلائل الصدق ٩٥/٢.
٥٤ –صحيح مسلم / باب فضائل علي.
٥٥ –ينظر: الاصول العامة للفقه المقارن ١٥٤-١٥٩.
٥٦ – الدر المنثور ٥/ ١٩٩.
٥٧ – فضائل الخمسة ٢١٩/٢.
٥٨ – تفسير المراغي ٢٢/ ٧.
٥٩ – الاصول العامة للفقه المقارن ١٥٨-١٥٩.

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم.
٢- الاحتجاج : الشيخ الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف ١٩٦٦م.
٣- إحقاق الحق: برهان الدين بن احمد البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٥٨م.
٤- أحكام القران: الجصاص، احمد بن علي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
٥- أسباب الــنزول: الإمام الواحدي، المطبعة الهندية للنشر والتوزيع، مصر(د. ت).
٦- أسد الغابة: ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، دار الكتاب العربي بيروت – لبنان.

٧- الأصول العامة للفقه المقارن: العلامة محمد تقي الحكيم، بيك فدك، لبنان، ط١/٢٠٠٥م.

٨- أعيان الشيعة : السيد محسن الأميني العاملي، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف، بيروت.

٩- الامالي: المجلسي، محمد باقر، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان ط٢/ ١٤٠٣هـ.

١٠- الامام زين العابدين: السيد عبد الرزاق المقرم، دار التعارف، بيروت، لبنان

١١- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط٢/٢٠٠٩م .

١٢- بحار الأنوار(الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار) :المجلسي، الشيخ محمد باقر، دار أحياء التاريخ العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت،لبنان،ط٢/١٩٨٣م.

١٣-البداية والنهاية : إسماعيل بن عمر بن كثير(ت٧٧٤هـ) / مطبعة السعادة / مصر / ١٣٥١هـ .

١٣- تاريخ الطبري: الطبري، منشورات دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان.

١٤- تأريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، علي بن الحسن بن عبد الله الشافعي، تحـ : علي شيري، دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ.

١٥- تاريخ اليعقوبي: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، مطبعة الغري، النجف الأشرف ١٩٦٥م.

١٦- تحف العقول عن آل الرسول ، أبو محمد الحسن بن علي الحراني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت _لبنان.

١٧- تفسير ابن كثير(تفسير القرآن العظيم): عماد الدين ابن كثير، منشورات شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط١/١٩٩٨م.

١٨- تفسير الدر المنثور: السيوطي، جلال الدين، مطبعة بهجتي، إيران

١٩- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القران): أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبي، صححه أبو إسحاق اطفيش، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٥ م.

٢٠- (التفسير الكبير): تفسير الفخر الرازي فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م.

٢١- تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م .

٢٢- تفسير المنار: محمد رضا، مؤسسة الاعلمي للكتاب، بيروت١٩٧٧م.

٢٣- تفسير النسفي: النسفي، إبراهيم بن معقل، طبعة مصر الأميرية، بولاق ١٩٣٦م.

٢٤- تهذيب الاسماء واللغات: ابو زكريا النووي، ادارة الطباعة المنيرية، القاهرة ١٩٧٣م.

٢٥- - تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي، حيدر آباد – الدكن، الهند، ١٩٠٩م.

٢٦- حياة الإمام الحسن بن علي(عليه السلام): باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، مطبعة شريعت، ط١، ٢٠٠٨، إيران.

٢٧- حياة الإمام زين العابدين: الشيخ باقر شريف القرشي، مطبعة شريعت، إيران، قم، ط١/ ٢٠٠٨هـ.
٢٨- الخصال: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه(ت ٣٨١هـ)،دار العلم والنشر، بيروت، لبنان.
٢٩- دراسات اخلاقية في ضوء الكتاب والسنة: الشيخ جميل الربيعي، بيروت، لبنان، ط١.
٣٠- الدر النظيم: جمال الدين الشامي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، لبنان، ط ١/ ٢٠١٠م.
٣١- دلائل الصدق: الشيخ محمد حسن، مطبعة النجف، النجف الأشرف ١٩٦٧م.

٣٢- ديوان الإمام الشافعي: اعتنى به هبه عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط٣ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

٣٣- ديوان الفرزدق: شرح وتقديم علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ط١ ، ١٤٠٧- ١٩٨٧م.

٣٤- سنن الترمذي(الجامع الصحيح): الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، تحقيق: احمد محمد شاكر وآخرون، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).
٣٥- شرح أصول الكافي: الإمام محمد بن يعقوب الكليني، دار الأسرة للطباعة والنشر، إيران ١٤٢٨هـ.

٣٦- شواهد التنزيل: الحافظ الحسكاني الحنفي، شيخ محمد باقر محمودي، مجمع أحياء الثقافة الإسلامية،ط١/ ١٤١١هـ.
٣٧- صحيح مسلم: الامام مسلم، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، مصر.
٣٨- الصواعق المحرقة: ابن حجر الهيتمي، أحمد بن حجر المكي، دار الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٣٩- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد الواقدي، دار صادر، بيروت، لبنان.
٤٠- العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي، أبو بكر أحمد بن محمد، تحقيق: عبد المجيد الترصيني، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٩٨٧م.

٤١- عيون الاخبار: الدينوري، دار الكتاب العربي، دمشق، ط ١/ ١٩٧٧م.
٤٢- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، مطبعة شريعت، المكتبة الحيدرية، قم، ط١/ ١٤٢٥هـ.
٤٣- - فضائل الخمسة من الصحاح الستة: السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي، منشورات فيروزآبادي، قم المقدسة ، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٤٤- في ظلال القران: سيد قطب بن إبراهيم الشاذلي، دار الفكر، بيروت، لبنان،ط٥/ ١٩٦٧م.

٤٥- الكافي: شيخ الاسلام الكليني، محمد بن يعقوب الرازي، تحقيق الشيخ محمد جواد الفقيه، دار الاضواء، بيروت ١٩٩٢م.
٤٦- الكامل في التاريخ: ابن الأثير، عز الدين أبي الكرم الشيباني (ت٦٣٠هـ)، طبعة دار الفكر، بيروت١٩٧٨م.
٤٧- لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم، نشر دار صادر، بيروت .
٤٨- اللهوف: ابن طاوس، دار المعرفة، ط٣، بيروت.
٤٩- كنز العمال: المتقي الهندي الهندي ، تحقيق : صفوت السقا _ بكري الحياني ، مؤسسة الرسالة.
٥٠- مستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري، مطبعة النصر الحديثة، الرياض.
٥١- مسند أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة.
٥٢- مسند الامام زيد: الامام الاعظم زيد بن علي، دار الاجيال، بيروت، لبنان.
٥٣- مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، الشيخ أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان١٣٧٩هـ.
٥٤- المفردات في غريب القران: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسن بن محمد (ت٥٠٢هـ)، تحـ: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت ١٣٢٤هـ.
٥٥- ميزان الاعتدال: الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد، تحـ : محمد سيد جاد الحق، مطبعة دار التأليف ،مصر، ط ١/ ١٩٦٩م.
٥٦- نهاية الارب: النويري، دار الصابوني للطباعة والنشر، مكتبة التوفيقية، القاهرة ١٩٥٤م.
٥٧- وفيات الأعيان: ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.